

أهموم الأرب

## درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

(تمة ما نشر في العدد الماضي)

٦٠٥،٤ - الأورستيز

هذه هي الثلاثية الواحدة التي وصلتنا سليمة من إسخيلوس وقد أخذ كل مادتها من هومر ، وأجاممنون هو بطل حلقها الأولى وباسمه تدعى ... واللأساة تبدأ من ذلك اليوم المشؤم الذي ضحى فيه أجاممنون بابنته إغنيا حيث ذبحها لتحرك الريح وتحمل الأسطول إلى طروادة كما مر بك في هوميروس ... فلما علمت زوجته كليتمسترا - أم الفتاة - بما وقع لابنتها من القدر ، ولم تكن تعلم بهذا التدبير من قبل ، بل قيل لها إنها ذاهبة لعقد قرانها على أخيل بطل أبطال اليونان ، نارت تأثرتها ، واعتراها حال من الهم والحزن أخرجها عن إنسانيتها فأبدت عنها كل معالم الحياة ... حتى ابنها الأوحده أورست لقد نفثه بعيداً عنها ، وعاشت وحدها في قصر اليلويد الرهيب ، واضطرت في قلبها نار الحقد على زوجها القاسي ... ثم وصلت أسبابها بأسباب إيجستوس أحد ذوى الثارات على بيت أجاممنون ، فوافق سن طبقة كما يقولون ، وألفت الترات بين قلبيهما فشاعت عن علاقتهما الشائعات .. ولما وضمت حرب طروادة أوزارها وعاد أجاممنون مع تلك الفتاة النسيبة ابنة (١) بريام ، دبرت له زوجته تلك القتل المشؤم التي ذهبت بروحه وروح فتاته إلى هيدز

أما الحلقة الثانية ال(خوأفروآ) أو حاملات الحجر المقدسة فتقع حوادثها بعد ذلك بستين عدة كانت الملكة وعشيقتها يحكان أرجوس طولها ... فلما شب أورست استأذن ملك فوسيز في العودة فأذن له وصحبه صديقه بيليدز ... ووصل إلى مقابر أرجوس حيث وجد أخته إلكترا نصب الحجر على جدث أبيه لأن أسها رأته في المنام أنها تله تمباناً ثم تأخذها في حضنها ، فأرسل بنتها لتصب الحجر قرباناً إلى روح أجاممنون ... ويمرّب الشاب

(١) إسما كاستندرا

أخته فيعرفها بنفسه وتكون قد صلت للآلهة على ثرى أبيها أن ترسل إليها أخطاها ، فتكون مفاجأة جميلة ، ثم بوصفها أورست بكنان الأمر حتى ينتقم لأبيه ... ويدخل القصر في هيئة تنكزية فلا تعرفه أمه ، ثم يأخذ في سر قصة خواها أن أورست قد مات فتتظاهر الأم بالحزن ثم تدخل مخدعها ، ويدخل أورست وصديقه حجرة الأضياف ... وتذهب مراضعة لتدعو إيجستوس ليعلم ما قال الرسول عن وفاة أورست فما يكاد يصل إلى القصر حتى يسمع من الداخل وهو يصرخ ويجود بنفسه ... لقد قتله أورست !! ... وتهرع كليتمسترا لترى ماذا حدث ، لكنها تعاجل بضرية شاطور (بلطة) فتلفت فترى أورست عند جثة عشيقها ، وهي مع ذلك تنسى آلامها وتنحن فتبكي فوق جثة إيجستوس ... ثم يأتي أروع مشاهد إسخيلوس الدرامية ... فالأم حينما تعرف أورست لا تبالى الدم المتدفق من جرحها ، بل تكشف عن ثديها وتعتبر الابن بكفرانه هذا اللبن الذي غذاه صغيراً ، ثم تنذره بملاحقة ربات العذاب إياه حتى يفتقن منه على جريمة قتل الأم وهي أشنع الجرائم في الشرع اليوناني ، ويهتر أورست ، ثم تمرره نوبة من الجنون ، وتتراهى له ربات العذاب فيذعر ، ويفر من وجوههن ليحتمى بهيكل الإله أبوللو في دلفي . وفي الحلقة الثالثة (يومنيدز) أو ربات العذاب ، يتعلق أورست بأستار هيكل أبوللو ضارعاً إلى إله الشمس أن يحميه ، وتكون الكاهنة وسنانة تستيقظ مفرجة مروعة ثم يظهر الآله أبوللو نفسه فيطمئن أورست ويشمله بحبايته ويأمره أن ينطلق إلى أثينا حيث يعرض قضيته على ربته مينرفا (باللأثينا) فيصلي أورست وينطلق إلى حيث أمره أبوللو وتبقى ربات العذاب فيدخل شبح كليتمسترا وتأخذ في تحريض الربات فيفتنن قليلاً ثم يطردهن أبوللو ... ويتغير النظر فتكون في أثينا في هيكل مينرفا وقد تملق أورست بأستار المذبح وقد أخذت تنوشه ربات العذاب فتبدو مينرفا وتدودهن عنه ، ثم تستمع إلى شكواه . ويكون في المبد جماعة من المحلفين وينهض الآله أبوللو ليؤدى شهادته ويدلى برأيه فيقرر أن الإنسان ينتسب إلى أبيه لا إلى أمه ؛ ولذا فهو مرتبط بوالده قبل أن يرتبط بوالده ... وبعد أن تسمع مينرفا إلى آراء الآخرين تنهض هي فتعلن رأيها ثم تجلس وتأخذ المكلفون في (فرز) الأصوات وتكون النتيجة متساوية بغير ترجيح فيحدث شيء من المهرج في قاعة العدالة وتقيم ربات

السارق عذاباً شديداً. ويرف أن السارق هو بروميثوس قيامه ثم يذهب به في أقل من لمح البصر إلى جبال القوقاز حيث يقيد ويربطه بسلاسل وأسفاد في قبة جبل هناك ويسلط عليه باشقاً من جوارح الطير فيظل ينهش كبده نهشاً شديداً... وهنا يبدأ إسخيلوس الحلقة الأولى من درامته.. فهذا بروميثوس مُصَفِّداً بالأغلال صابراً لأنكى ألوان العذاب، ينهش الباشق كبده نهشاً ثم رقاً جراحه ليلاً وتنمو الكبدة، فإذا أصبح عاد الباشق إلى نهشه وتمذييه وهكذا دواليك.. لكن بروميثوس إله فهو لا يموت، ثم هو لا يقهره هذا العذاب بل هو يصبر له في سبيل سعادة الإنسان الذى خلقه وحضره وجلب له النار وعلمه الفنون، والإنسان مع ذلك شاكر له ذاكر أباديه فهو يصلى له ويقنت، والفتاة بوالهة المذبة التى سلطت عليها حيرا زوجة سيد الأولب هذا الوحش الفظيخ أرجوس والذباية المؤلمة تلدغها وتسومها من العذاب ألواناً... ها هي ذى واقفة بجانب بروميثوس تواسيه وتتوسط له عند التيتان ليستغفروا له سيد الأولب فلا ينفروا له، لأنه قوى مجنون ليس في قلبه شفقة ولا يبرف فؤاده العدالة... ويصبر بروميثوس ثم يصبر، ولا يرضى أن يخذل الإنسان لأن الإنسان يصلى له ولا ينى عن عبادته... وفي الحلقة الثانية يذهب هرقل بن سيد الأولب في إحدى مجازفاته فيشهد بروميثوس مصفداً في قبة الجبل والطير تمش كبده، فينقض على الباشق الجارح ويقتله، ويرد إلى بروميثوس حرته. فينطلق هذا الإله الطيب ويلقاء الناس مسيحين بمحمد فرحين مستبشرين... وفي الحلقة الثالثة (بروميثوس حامل النار) يصف إسخيلوس احتفاء الأثينيين بالإله الذى نحى نفسه واحتمل الآلام في سبيل الإنسان هذه خلاصة سريرة لأعظم درامات إسخيلوس، وبروميثوس هي ذرة فلسفية أعجب بها الشعراء في كل العصور، وقد عارضها شلى الشاعر الانجليزى بمنظومة رائمة جرى بها في أذبال إسخيلوس... وقد كان إسخيلوس لا ذعماً في هذه الدرامه، فقد سخر بهذا الإله المنطرس زيرس الذى كان يكره الإنسان وبنائوه ولا يريد له الخير الذى أراده له بروميثوس. وجماع فلسفة إسخيلوس في هذه الدرامه أن القوة التى تهيم على هذا العالم يجب ألا تكون قوة مجردة لا عقل لها، بل يجب أن تتضافر القوة والحكمة بحيث لا تظني إحداها على الأخرى لخير الإنسانية وعمار الكون،

العذاب لتدخل أبواب أقل منهن مرتبة في أخص أمورهن، فتهض سينرفا وتأخذ في تلطيف سورتهن بفصاحتها المهدودة وتهتف بهن « أن أسمى واجب الآلهة هو نشر السلام بين بني الإنسان ! » وتمدهن بإقامة ماوى عظيم لمن في هضبة إرس فيهدأن ويحتق الجميع بذهابهن إلى ماواهن في حفل رهيب هذه هي أرفع درامات إسخيلوس بل أرفع درامات الأدب اليونانى إذا استثنينا درامه بروميثوس للشاعر نفسه... وقد سخر فيها الشاعر بهذه الشريعة العجيبة التى تنافى العدالة المطلقة التى جعل لها الفوز والتلبة في النهاية... وكان إسخيلوس ماهراً في تلك الدرامه إلى آخر حدود المهارة فقد استدرج اليونانيين حيناً أراد إصلاح وجهة نظرم إلى تلك الأغوال التى يدعونها ربان العذاب حتى جعلهم يؤمنون أنها يبنى أن تكون لخير الإنسانية لا لدمعها، ولنشر السلام لالتعميم الذعر والأذى. وهكذا استطاع إسخيلوس أن يبشر بدين جديد من دون أن يحدث ثورة، وكان جل إيمانه بسيادة عليا تهيم على الكون وتسير به إلى الكمال كما سنرى في بروميثوس

#### ٧ - بروميثوس :

أخذ إسخيلوس موموع ثلاثيته من أسطورة بروميثوس الخالدة وتلخص فيما يلي :

بعد أن فرغ إروس ( كيوبيد ) من توشية الأرض وزخرفتها بالنبات، كسرها بالحيوان، ثم دعا إليه الإلهين بروميثوس ولبيموتو ليخلفا فيها حيواناتاً راقياً تكون له السيطرة على سائر صنوف الحيوان ويسمياها ( الإنسان ). فلما صنعها سالا إروس أن يتفخ فيه أنفاس الحب (روح الحياة) كما سالا مينرفا أن تتفخ فيه من روحها (روح الحكمة). فلما دبت الحياة في هذا المخلوق العجيب زهى بروميثوس وشاعت فيه الكبرياء واعتزم أن يهدى إلى الإنسان منحة جزيلة تفتح له أبواب المدينة وترقى به في مدارج الحضارة... وكانت النار إلى ذلك الحين حقاً خالصة للآلهة وكان لهم دون غيرهم ( امتياز ) استعمالها، فاعتزم بروميثوس أن ينسرق إلى الأولب ليخضر للإنسان جذوة من النار المقدسة فأحكم تدييره وتغلغل سيد الأولب ( زيوس ) وسرق الجذوة ثم أب إلى الأرض دون أن يبشر به أحد... ومضى حين من الدهر، وتلفت زيوس من عليا سمواته فشهد النار تتأجج في أطراف الأرض فهاجها نهبه، وأقسم ليمذنب